قرب الباب الا
التربية الاساسية
مكتبة احمد

محكمة المظالم إلا بحضور خمس جماعات في نفس الوقت وهم:

1. الحماة والأعوان، وهم من ذوي البأس والقوة التي تمكنهم من الوقوف لمن يبتغي استخدام العنف أو الهروب من وجه العدالة.
2. القضاة والحكام، لبيان ما توصل إليه الحكم من حقوق.
3. الفقهاء، وهو رجوع صاحب المظالم لاستشارتهم عندما كان يشكل عليه حكم ما.
4. الكتاب، ليدونوا ما تم إقراره من الحقوق والواجبات إزاء الخصوم.
5. الشهود، ليدلو بشاهدتهم حول القضايا المطروحة، ولإثبات أن ما صدر عن القاضي هو في صلب العدالة ولا يتنافى مع الحق[146].

ومهام صاحب النظر بالمظالم تقوم على عدة أعمال منها: النظر في قضايا تجاوز الولاة على رعيتهم، وجور العمال في جبايتهم من الأموال، والشكاوي من كتاب الدواوين، وعدم انتظام أرزاق الناس، وارجاع ما اغتصب على ايدي الظلمة من المستضعفين، ومتابعة الأوقاف العامة والخاصة وفق شروط واقفيها، وتنفيذ الأحكام الصادرة والمجمدة من قبل القضاة والمحتسبين لأن ناظر المظالم أكثر نفوذاً، ومتابعة الشعائر والطقوس الدينية، مثل: أيام الجمع، والأعياد، وفريضة الحج، وأمر الجهاد[147].

سابعاً: الحسبة.

ان الحسبة: "هي أمر بالمعروف، إذا ظهر تركه. ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله"[148]، استناداً لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ

(146) الماوردي، الأحكام السلطانية، 76.
(147) م.ن. 76-78؛ الصالح، النظم الإسلامية، 325.
(148) م.ن.، 284.

مكتبة احمد
التربية الاساسية
قرب ال

بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[149]، وكانت تهدف للحفاظ على الدين من الفقدان، وتحقيق المصالح للناس في الجوانب الدينية والدنيوية على ضوء الشريعة الإسلامية[150]، وعدت أحد الوظائف الدينية[151]، ويؤدي المحتسب وظيفة فرضاً متعيناً ولا تعني نافلةٍ يتطوع بها حسب رغبته، ولا يحق له الانشغال بغيرها وهو مكلف بها مقابل أجر يستلمه من بيت المال[152].

وولاية القضاء كانت تقوم على حسم النزاع على وجه العموم، بينما اختصت ولاية المظالم بردع كبار الموظفين وهي أشبه بمحكمة عليا، لذا نجد ان الحسبة هي واسطة بين هاتين الولايتين، وأحكامها وساطة بين أحكام القضاء والمظالم[153]، وقد تناط مهام القاضي والمحتسب الى رجل واحد رغم الاختلاف بطبيعة عمل كل منهما، فمهام القاضي كان التمعن والتأني في الحكم، بينما المحتسب يقوم على الحزم وسرعة التنفيذ[154]، ويمكن لوالي المظالم ان يحكم بينما لا يحق ذلك لوالي الحسبة لأن الأخير يأمر وينهى بدون أن يحكم لأن مهامه أمر بالمعروف ونهي عن المنكر[155].

فالحسبة أحد السمات الحضارية، والحضارة هي أرقى مراحل المدنيّة " فهي روح والمدنية مادة، أو هي ثقافة عقلية والمدنية علم تطبيقي، وقد تتمازج الحضارة مع المدنية، إلا انها أفضل بكثير للإنسان مع المدنية بلا حضارة"، وهي تهدف إلى إشاعة الطمأنينة لدى الناس، وتبادل المنفعة بينهم[156].

---

(149) سورة آل عمران، الآية 104.

(150) ابن تيمية، الحِسبة في الإسلام، 15.

(151) ابن خلدون، المقدمة، 182.

(152) الماوردي، الأحكام السلطانية، 284؛ الصالح، النظم الإسلامية، 328.

(153) الصالح، النظم الإسلامية، 328.

(154) الماوردي، الأحكام السلطانية، 60- 73؛ حسن، تاريخ الإسلام، 1/ 489.

(155) الفراء، الأحكام السلطانية، 243.

(156) دراسات في الحسبة والمحتسب، 17.

قرب الباب الامامي
التربية الاساسية
مكتبة احمد

مكتبة أحمد

من الشروط التي يجب توفرها في المحتسب: "أن يكون خبيرا عدلا، ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين، وعلم بالمنكرات الظاهرة"[157]، والحسبة واسطة بين أحكامي القضاء والمظالم ويعني ذلك ان النظر في المظالم عندما كان يعجز القضاة في حله أما النظر في الحسبة قضية لما رفه عنه القضاة[158]، وتناط الحسبة لأحد "وجوه المسلمين، واعيان المعدّلين، لأنها خدمة دينية"[159].

واستخدم المحتسب في عهد الفاطميين بمصر النواب في القاهرة ومصر (الفسطاط)، وكان يجلس في جامعيها، وأمر نوابه بختم قدور الهراسين والطباخين، والنظر في دار العيار، وفحص لحومهم والتأكد من مصدر ذبحها، ويتابعون أصحاب الزوارق بان لا يزيدوا أحمالها عن الحد المقرر، ويتابعون انسيابية حركة السابلة بدون مضايقة، ومنع الحمالين من إرهاق دوابهم بأكثر مما تحتمل، ويلزمون السقائين بغلق فوهات قربهم، وانذار معلمي الصبيان بعدم المبالغة في تعنيفهم، ويراقبون المكاييل والأوزان، ويقبضون راتباً شهريا قدرة ثلاثون دينار[160].

وفي الأندلس تولى وظيفة الحسبة موظف عرف بالمحتسب امتاز بالعلم والفطنة، شبيهاً بالقاضي، وجرت العادة أن يتجول في الأسواق راكباً، ومعه معاونيه، أحدهم حاملاً ميزاناً يزن فيه الخبز، ومراقبة الورقة المكتوبة بالسعر على اللحم، وكان الجزار يخشى ان يتجاوز ببيعه السعر المحدد، ولمزيد من المراقبة فأن المحتسب يرسل أحد الصبية أو جارية لشراء مادة ما، وكان يفحص الوزن واذا كانت هناك مخالفة يحاسب وإذا لم يَتُبْ بعد ضربه وتشهيره بالأسواق ينفى من البلد، فكان للمحتسبين " في أوضاع الاحتساب

---

(157) الماوردي، الأحكام السلطانية، 285.

(158) م.ن.، 285؛ اليوزبكي، دراسات في النظم العربية، 187.

(159) ابن الطوير، نزهة المقلتين، 116.

(160) م. ن، 116- 117.

مكتبة احمد

قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما تتدارس أحكام الفقه، لأنها عندهم تدخل في جميع المبتاعات"[161].

ويمكن تلخيص أهم واجبات المحتسب إلى ثلاث جوانب، وهي:

1. الجوانب الدينية: مثل متابعة الصلاة ووقت الأذان والعناية بالمساجد ومتابعة عدم انتهاك حرمة شهر رمضان ودفع الزكاة.
2. الجوانب الاجتماعية: وكان يقوم على انصاف الأرامل والعبيد والرفق بالحيوان ومحاسبة الشحاذين الذين بإمكانهم العمل ومنتهكي حرمة الآداب والأعراف السائدة، وكان يهتم ببناء الدور بالشكل الذي يجعلها غير مضايقة للناس، والإشراف على نظافة الشوارع، فيمنع من يتجاوز في بنائه ويأخذ جزء من الشارع، وكان يهتم أيضا بالميازيب وتنظيم تصريف المياه الآسنة.
3. الجوانب الاقتصادية: الحرص على نظافة الأسواق، وجعل التخصص للبيع في الأسواق، فالحِرَف التي تعتمد على استخدام النار مثل الحدادة والمخابز تبعد عن محال البزازين والعطارين لئلا يحدث مكروه عليها، وكان المحتسب لا يسمح بدخول أحمال الحطب والقش والرماد والأسمدة لأنها تتسخ الأسواق، وعلى عاتق المحتسب متابعة الأوزان والمكاييل ومتابعة الأسعار والرداءة في البضاعة[162]، فكانت متابعة الأسعار من قبل الدولة تمليه حاجات المجتمع، أو السيطرة على التذبذب في النظام الاقتصادي[163].

فالحسبة هي متابعة ومراقبة سلوك الناس قولاً وعملاً، وايقافهم عن الخروج على الأعراف والقيم الإسلامية للحد من مخاطرها على الفرد أو على

---

(161) المقري، نفح الطيب، 1/ 218- 219.
(162) العلي، تأريخ الحضارة العربية، 129.
(163) الكبيسي، أسواق بغداد، 298.

قرب الباب
التربية الاساسية
مكتبة احمد

المجتمع، فهو نهج انضباطي لا قضائي في أغلب حالاتها، أو أنه إداري لا فني ويتجلى لنا أهميتها عند مقارنتها برئاسة الأطباء التي هي مهنية بحتة، فيبلغ المحتسب المخطئ من الأطباء في تشخيص الأمراض لمرضاه أو لقصور في كفاءته رئيس الأطباء ويختبره في مهنته ليطمئن على كفاءته، فإذا تبين ضعف أدائه وجهله أخطر المحتسب بالأمر ليتخذ ما يجده مناسباً إزائه، وقد يصل الأمر إلى عزله من وظيفته[164].

ثامناً: الدواوين.

بعد اتساع نطاق الدولة الإسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، أخذ مصطلح الديوان من الفرس[165]، فاستشار الناس في أمرها فأشار عليه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من المال ولا تمسك منه شيئاً"، وقال خالد بن الوليد: "قد كنت بالشام فرأيت ملوكها دونوا ديوانا وجندوا جنودا فدون ديوانا وجند جنودا"، فبدأ عمر بقرابة النبي ﷺ ثم الأقرب[166]، واعتمد بذلك على العارفين بأنساب قريش وهم: عقيل بن أبي طالب (ت نحو 50هـ / 670م) ومخرمة بن نوفل (ت54هـ/ 675م) وجبير بن مُطْعِم (ت نحو 59هـ/ 679م)[167]، ودون الدواوين في الشام، وسأل بلال بن رباح (ت20هـ/ 640م)عن من يجعل ديوانه فقال: "مع أبي رُوَيحَة [عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي] لا أفارقه أبداً للأخوة التي كان رسول الله عقد بينه وبيني"[168]، وفضل بين الناس حسب أسبقيتهم في

(164) دراسات في الحسبة والمحتسب، 15.
(165) الفراء، الأحكام السلطانية، 199.
(166) الماوردي، الأحكام السلطانية، 237.
(167) اليعقوبي، تاريخ، 2/ 105؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، 2/ 743.
(168) ابن هشام، السيرة النبوية، 2/ 105.

مكتبة احمد
التربية الاساسية
قرب الباب